ماهية العقل الحداثي
في المجتمع العربي وتحديات الحداثة

بحث مستل من رسالة الدكتوراه

إعـداد الباحث
حنان خليفة الغوات

إشـــــــــــــراف

أ.د/ محسن خضر
أستاذ أصول التربية
كلية التربية – جامعة عين شمس

أ.د/طلعت عبد الحميد
أستاذ أصول التربية
كلية التربية – جامعة عين شمس

٢٠١٧م

مـقـدمـة :

أمام هذه الأوضاع الشاذة التي يعيشها العالم بأسره، أصبح من الضروري إعادة التفكير في ماهية العقل الذي يجب أن نكتسبه للسمو بالمجتمعات العربية إلى مستوى الاستقرار، والتحرر من الدغمائية والتفكير الوثوقي، وعلى اعتبار أن داخل هذا التفكير الفلسفي يتمازج الإدراك الكلي والشامل للتجربة الإنسانية ، والتفكير الحي المرتبط بالوجود و الواقع المتحرك للإنسان، وهي ازدواجية انعكست لا محالة على طبيعة المجتمع العرب، باعتبارها هي نفسها نوعا من التفكير في المعرفة، فوجب من خلالها تشرع وتوجيه تفكير المواطن، والارتقاء إلى المعارف الكونية ، والانتقال من التصور الجزئي إلى التصور الكلي للوجود، وإحداث مسافات معينة مع التقليد و الموروث الثقافي ، و تحديث التفكير .

و إذا كنا نعيش لمستقبلنا أكثر مما نعيش لحاضرنا ، و إذا كانت مطالب المستقبل وأماله مهمة تماما كما هو الشأن لمطالب الحاضر ، فإن خطاب العقل يجب أن يتوجه لمعالجة المستقبل بالقدر الذي يعالج به الحاضر، ولن يتأتى ذلك إلا عندما يعي الخطاب المجتمعي أننا مع المستقبل سنكون أمام عالم جديد ، عالم يحتاج منا عقلا جديدا ، يعي ذاته أولا و يعي عالمه ثانيا ، و يعي وضعه داخل هذا العالم ثالثا، عقل يقدم طرحا جديدا يعالج به ذلك العالم المتجدد دوما ، المتغيرة ظروفه بين الأضداد[1]، عالم متجدد باستمرار لدرجة أصبح فيها العقل الكلاسيكي عاجز عن تفهم و استيعاب هذه المتغيرات ، بل و مواكبتها أو ملاحقتها.

إشكالية البحث :

أمام هذه الحاجة إلى تغيير العقل من تقليدي إلى حداثي تتطلب منا التفكير في ماهية هذا العقل، ومتطلباته الأساسية، من خلال طرح السؤال الأتي:

- ما طبيعة العقل الحداثي الذي من خلاله نستطيع تجاوز الأزمات المجتمعية؟

ويتفرع عن هذا السؤال الإشكالي الأسئلة الجزئية الآتية:

- ما هو العقل الحداثي ؟
- ما الذي يميز مفهوم العقل عن باقي المفاهيم الأخرى التي تنتمي لنفس الحقل ؟
- ما علاقة العقل بالتفكير؟
- ما شروط العقل التنويري ؟
- ماهي مبادئ العقل التنويري ؟

[1] توطئة يوسف طيران كتاب لروبرت أورنشتاين و بول إرليش :" عقل جديد لعالم جديد، كيف نغير طريقة تفكيرنا لنحمي مستقبلنا " ترجمة أحمد مستجير، القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ص ١.

ويكتسي البحث أهمية تتعلق بالنقاط الآتية؟

- انتشار التفكير الخرافي في الوطن العربي عامة، يثبت الحاجة فعلا للعقل الحداثي كبديل.
- تمثل الدراسة مسألة التفكير في التفكير ، أو ما وراء التفكير
- تتناول الدراسة مفهوم العقل الحداثي ومميزاته ،و الذي يعد من القضايا الجديرة بالبحث لأنها تقع ضمن الأصول الاجتماعية التنموية، و السياسية للتربية.

أما عن أهداف البحث فتتمثل فيما يلي :

- التعرف على التحليل النظري لمفهوم العقل والعقل الحداثي، ومبادئه، و تحديده فيما يتشابك معه من مفاهيم أخرى فلسفية.
- دراسة تحليلية لمفهوم العقل الحداثي .
- إمكانية تطوير استراتيجيات بديلة لتدريس الفلسفة في الوطن العربي في ضوء عنصر العقل الحداثي .

[١] العقل الحداثي

إذا كانت من بين أدوار الفلسفة بناء العقل الحداثي، فإن من أسس الحداثة ، ترسيخ مبد العقلانية، و أسس العقل الحداثي ، على اعتبار أن في الحداثة مراحل مختلفة ، كانت العقلانية فيها هي الأساس الأنطولوجي الذي تقوم عليه في مجال الفكر الفلسفي – و هو الذي يهمنا في هذه الدراسة - ، فالعقل أداة صالحة للمعرفة (ديكارت Decart) ، و هذا العقل مستقل عن الطبيعة (سبينوزا spénowa و لابنزLipininz)، و الرياضيات أصبحت بمثابة لغة علمية جديدة (غاليليوGalilio) [٢].

لقد ارتبطت الحداثة أكثر ما ارتبطت به بالتركيبة العقلية للتحديث ، سواء في وظيفتها الرأسمالية ، أو الشيوعية ، حيث التوحد القياسي و العقلنة و خط التجميع [٣]،لتصبح

---

[٢] طلعت عبد الحميد ، عصام الدين هلال ، محسن خضر :" الحداثة ...ما بعد الحداثة ، دراسات في الأصول الفلسفية للتربية " ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ٢٠٠٣، ص ١٦٣

[٣] أحمد حسان :" مدخل إلى ما بعد الحداثة " ، القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، وزارة الثقافة ، مارس ١٩٩٤ ، ٢٣٣

الأسرة مكانا لتحقيق الذات ، و المدرسة مكان للعقلنة[٤] ، لأن العقل عنصر فيزيقي في العالم الطبيعي ، يخضع للقوانين العلمية ، و يقبل التجريب و بالتالي يكون قابلا للفهم و التحكم و التنبؤ.

فبعد حلول مفهوم التحولية progress أو الصيرورة becaming ، محل مفهوم الجوهر substance ، في العلم الحديث ، فرض صورة معينة حول العقل ، أو الهوية القومية ، تتناقض تماما مع مفهوم الهوية كما تناوله الفكر العربي ، فعند دراسة و إدراك أي مفهوم ، كان يتم التركيز عليه من خلال جوهره الثابت و علاقات جواهر الأشياء بعضها مع بعض ، و باعتبارها ثوابت ، مما أنتج مشكلة العقل و الجسد كجوهرين و العلاقة بينهما ، لكن الفكر الحديث جاء بالمفهوم الديناميكي للواقع ، لتصبح بذلك الطبيعة كونا من التحوليات بدلا من كونها مجموعة من الأشياء ، و في هذا السياق نستحضر قولة هيراقليدس Heraqlides بأن التغيير الدائم هو الملك ، هذه الفكرة تحققت فعلا مع مجيء الفكر الحديث ، من خلال حلول الصيرورة محل الجوهر ، فهي بذلك تشير إلى نموذج جديد من التفكير يتأمل في كل شيء ليس كظاهرة تتغير ، بل تتطور باستمرار إلى شيء مختلف تماما ، و من جهة ثانية، فإن مفهوم التغير الدائم ارتبط بشكل كبير بمفهوم الزمان و أهميته ، من هذا المنطلق يتبين أن العقل الحديث يتأسس على مفهوم الصيرورة و الزمان ، (هذا المفهوم هو الذي أنتج تغيرات كبيرة في المجتمع الأوروبي من قبيل الثورة الفرنسية، الثورة الصناعية ، و العلمية ، عقلانية عصر التنوير ...)، و العقل العلمي الباشلاري لا يكتفي بالحقائق الموجودة مما يجعله يخضع فرضياته للاختبار المستمر ، لتغييرها متى أمكن ذلك [٥]،

[٢] العقل و تحديداته المفاهيمية

لطالما كانت الحداثة انتصارا للعقل على النقل ، بعد أن أصبح التقليد النقلي على استيعاب ما هو جديد ، و من تم أضحى الإعلاء من شأن العقل على حساب النصوص الموروثة ، و التقاليد العتيقة و البديهيات ، و التراث التعسفي [٦] ، و من هنا جاءت رؤية ألان ثورين Alain Taurine عن المفهوم التقليدي للحداثة :" بناء صورة عقلانية للعالم

[٤] طلعت عبد الحميد ، عصام الدين هلال ، محسن خضر :" الحداثة ...ما بعد الحداثة " المرجع السابق ، ص ١٦٤

[٥] البيطار :" العقل الحضاري العربي ، السمة الأساسية للفكر الحديث " مجلة الوحدة ، حور العقلانية العدد ٥١ ، الرباط دجنبر ١٩٨٨ ، ص ٨١/٨٠

[٦] إيموند وليامز :" طق الحداثة ضمن التوأمين الجدد " ترجمة فاروق عبد القادر ، عالم المعرفة ،الكويت ، العدد٢٤٦ ، ١٩٩٩ ، ص ٧٤/٧٣

الذي يدمج الإنسان بالطبيعة ، الكون المتناهي في الصغر في الكون المتناهي في الكبر ، و على مستوى تاريخ حركة الزمن "[٧] .

فقد تصدر العقل و العقلانية واجهة مشروع الحداثة منذ البداية ، بل و مثلت العقلانية إلى جانب الذات الفردية ما اعتبر دوما جناحي الحداثة ، لتحليقها إلى الأفاق المأمولة ، فبفضل العقلانية أصبح مجتمع الحداثة فضاء خاليا من كل غائبة ، فلم يكتفي العقل بضبط النشاط العقلي العلمي و التقني فحسب ، بل امتد إلى أجهزة الحكم و الإدارة ، و أصبح التحديث إنجازا بل تكريسا للعقل و لأنشطته المختلفة في مجالات العلم و التكنولوجيا . ويربط دعاة الحداثة بشكل واضح بين العقل و تراث الفلسفة، حيث إن عقلانية الآراء والأفعال تشكل تراث الفلسفة ، و يمكن حتى القول أن الفكر أصبح تأمليا ، من العقل المتجسد داخل المعرفة ،و الكلام و الفعل ، فالعقل هو الموضوع الأساسي للفلسفة [٨].

و داخل مجال العقلانية تتداخل مجموعة من المفاهيم ، لدرجة يصعب التمييز بينها أحيانا ، فنستعملها في التداول العام بشكل مغلوط ، لذالك لابد أولا من فك هذا التشابك المفاهيمي حتى تتضح الاستعمالات المناسبة لكل مفهوم على حدة .

[٣] مفهوم العقلنة

على اعتبار أن الحداثة هي نشر لنتاجات النشاط العقلي و العملي و الإداري ، فهي ترفض العمل طبقا لوحي إلهي كما كان يمارس في الماضي ، فهي تقطع مع الغاية الدينية ، و هي انتصار للعقل في كل المجالات : في العلم و تطبيقاته و في الحياة الاجتماعية و في التربية والعدالة والاقتصاد ... وذلك أن الفكرة هي خلق مجتمع عقلاني ، أي أن الحداثة تتحدد بفصل العلم الموضوعي الذي يوجده العقل ،عن عالم الذاتية المركز على الشخص ، و تتخذ من العقلانية المبدأ الوحيد لتنظيم الحياة الشخصية و الجماعية ، فهي تضرب صفحا عن المعتقدات و عن أشكال التنظيمات التي لا تقوم على عناصر علمية ، لتمكين الناس من العيش حياة متماشية مع العقل ، لذلك تهدف إلى تحرير الإنسان من المباينات الاجتماعية و من أشكال الخوف اللامعقولة و من الجهل ، فالأمر يتعلق بإبعاد مظاهر الاستبداد و كذا المعيقات المعطلة للمعرفة و التواصل ، لمقاومة الاعتباطية و التبعية و المحافظة ، لذا كان على التربية أن تحرر الفرد من النظرة الضيقة و اللامعقولة المفروضة عليه من طرف أسرته و عواطفه و جعله منفتحا على المعرفة العقلية ، و المدرسة هي مكان القطيعة

[٧] مجدي عبد الحافظ ،"موقع العقل في فلسفات ما بعد الحداثة "عالم الفكر الكويت ، العدد٢ المجلد ، ٤١ ، أكتوبر – دجنبر ٢٠١٢ ص ١٣٨

[٨] مجدي عبد الحافظ :" موقع العقل في فلسفات ما بعد الحداثة " المرجع السابق ص ١٣٨

بالمعنى الذي يعطيه الجابري لهذه القطيعة ، مع الوسط الأصلي تحقيقا للتقدم و تحقيقا لتطبيق العقل في كل مظاهر الوجود الإنساني[٩].

العقلنة الجوهرية هي التي تنظم مباشرة نماذج الفعل في علاقته بالماضي و الحاضر و المستقبل (الفرضيات التيمية بحيث لا توجد هذه العقلنة الجوهرية نماذج الأفعال على أساس حساب الوسائل المطابقة للغايات الخالصة)[١٠]، أما العقلنة حسب هابرماس فهي أقل ارتباطا بالمعرفة و إنتاج المعارف مقابل الطريقة التي من خلالها تكون الذوات القادرة على الكلام والفعل تطبيق هذه المعارف، و هناك نوعان من العقلنة ، عقلنة من الأسفل تخص البنيات التحتية للمجتمع ، و عقلنة من الأعلى تخص الرموز و أنماط المشروعية ، ١١.

إن من أهم مظاهر سيرورة عملية عقلنة الفعل ، الاستعاضة عن التسليم بالعادة القديمة، كذلك الانسجام المتزن مع الوضع من جهة مصلحة الذات ، مع تأكيد عدم استنفاد هذه السيرورة للوسائل [١٢] .

يعتبر هابرماس Habermas عبارة " العقلنة" بوصفها تشيئا ، في محاولة التقاط الروح التي تسري في الأعمال المتنوعة التي قدمها الجيل الأول من النظرية النقدية ، و هي عبارة تدل على التباس سيرورة الحياة الحديثة ، حيث تم اكتشاف أن العقل قد كف عن فتح عالم الإمكانية ، ليكتفي بالتركيز على ثبات الوضع القائم المحتوم ١٣.

أما ماكس فيبر Max Weber فقد سعى وراء إيجاد النمط الخاص للعقلنة الذي يميز الحضارة الغربية و التي مكنته من فهم كيف تكونت و امتدت الدوافع التي تؤدي إلى ظهور سلوكات معقلنة ، بل أيضا كيف تنتهي إلى إحياء مجموعة كاملة من الممارسات الاجتماعية ، رغم وجود صراع أصلي و دائم بين الوعي الذاتي و العالم الموضوعي[١٤] . ففيبر يرى أن الحداثة هي ذلك الانتقال من عالم متراتب و ديني، قائم على سلطة التراث و التقليد من خلال سيرورة عقلنة .

إن موقف ماكس فيبر من الحداثة يركز بالأساس على التوتر القائم بين العمليات اللاشخصية من ناحية وبين خلق نظام شخصي ، عقلنة ما في مواجهة تلك العمليات من

---

[٩] جون بيار بورتوا و هوفيت دسمات :" تربية ما بعد الحداثة " ترجمة نور الدين ساسي المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، تونس ٢٠٠٥ ص ٢٩

[10] Max Weber ; général économie history ; New Work ; Bemswick : 1981 ; p 30

[11] Habermas Jurgen ; théorie du l'Agir communicationnel ;p 24

[١٢] محمد سبيلا و عبد السلام بن عبد العالي :" العقل و العقلانية "، المرجع السابق ، ص ٤١

[١٣] ألن هاو :" النظرية النقدية " ترجمة ثائر ديب المركزالقومي للترجمة القاهرة ، مكتبة الأسرة ٢٠١٥ ، ص ١٠١

[14] Martuccelli ; sociologie de la modernité Galleimard ; 1999 p 193

انظر أيضا سبيلا ص ٨٩

ناحية أخرى ، من خلال الالتزام بأهداف محددة ذاتيا تتسم بوضوح الوعي الذاتي .على أن لغة فيبر في حد ذاتها لا تحبذ مثل هذا الفصل بين العقلنة اللاشخصية و بين عقلانية الفعل ، الذي يتم من خلال النداء الداخلي ، ففي بعض كتاباته يشير فيبر لا إلى العقلانية بل إلى عملية عقلنة الفعل ،و مثل هذا الغموض في كتابات فيبر أدى ببعض الباحثين إلى محاولة علاجية (إيزن ، و سويدلر).على أن ما هو جدير بالملاحظة هنا هو الطريقة التي يؤكد بها فيبر على أهمية السياق الذي تطرح من خلاله مسألة العقلانية ، و أهمية المنظور في التمييز بين مختلف العقلانيات ، فمجالات الممارسة المختلفة تتم عقلنتها من خلال قيم و غايات مختلفة ، حيث يصبح ما هو عقلاني من زاوية نظر معينة ، لا عقلانيا من الزاوية الأخرى، و مثل هذا الرأي يتسق مع فكرة أن بناء العقلانية الحديثة إنما يعتمد على ممارسة النداء الداخلي ، و يترتب على ذلك أن مفهوم العقلانية ، في التكوين العقلي لفيبر يعتمد على مفهوم النداء الداخلي السابق عليه في التكوين .[١٥]

[٤] مفهوم العقل

- **مفهوم العقل لغة**

تكاد تجمع المعاجم العربية على أن المعنى الابتدائي(أي المعنى المحسوس) لكلمة عقل هو " الربط" ، فجاء في لسان العرب [١٦]: " عقل البعير يعقله عقلا ، و العقال : الرباط الذي يعقل به"، و يرتفع بنا ابن منظور درجة في التجريد قائلا :"رجل عاقل هو الجامع لأمره و رأيه ...وقيل العاقل : الذي يحبس نفسه و يردها عن هواها ".

و ترتقي بنا المعاجم أكثر كما يلي :"المعقول ما تعقله بقلبك ...و العقل : القلب ، و القلب :العقل ، و يقال لفلان قلب عقول و لسان سؤول ، و قلب عقول : فهم ، و عقل الشيء يعقله عقلا : فهمه ..."[١٧]

- **مفهوم العقل اصطلاحا**

إن العقل ليس مفهوما محددا بدقة ، و هو ليس مجموعة من المبادئ المطلقة التي تعلو على التاريخ و تتعالى على الحوار و الجدال ، إنه فعالية و جدل ، و القدرة على القيام

---

[١٥] باربالیت : " العقلانية و الانفعال في سوسيولوجيا فيبر " مجلة الثقافة العالمية العدد ١١٠ يناير ٢٠٠٢ / انظر أيضا امرجع السابق ص ٨٨

[١٦] ابن منظور " معجم لسان العرب " دار صادر ، المكتبة الإسلامية ٢٠٠٣ ص ٢٣٤

http : ll www.islamweb.netlnewlibraryldisplay-book.php

[١٧] محمد عابد الجابري :" بنية العقل العربي ، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة الغربية " ، نقدالعقل العربي ٢ ، بيروت / لبنان ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ٦ ، ص ٢٠٨

بعمليات تبعا لقواعد ، إنه تقنيات ذهنية تختص بها ميادين معينة للتجربة والمعرفة ، و هذه القواعد والتقنيات تتغير حسب الموضوع و اللغة[١٨].

لقد جاء في الموسوعة الفلسفية أن كلمة "العقل" بمعنى reason لها عدة معان واستخدامات يتصل بعضها بالبعض الآخر ، و لكنه اتصال معقد و غير واضح في معظم الأحيان ، و رغم ذلك فللعقل معنى خاص يمكن أن يكون له مرادف في اللغات الحية ، و هذا المعنى هو أن العقل ملكة عقلية ذهنية ،أو هو قدرة ذهنية ، حيث يرتبط العقل بالإحساس والعاطفة و الإرادة ، و إن اختلف عنها جميعا[١٩].

وللعقل معان كثيرة بحسب المعاجم ، ففي قاموس ماكميلان نجمل ما يمكن أن يخدم بحثنا في النقاط التالية[٢٠]:

- هو تعبر يستخدم للتكيف أو البرهان أو التفسير.
- هو ملكة التفكير منطقيا ، و الوصول إلى نتائج أو القيام باستدلالات .
- هو طريقة للاستدلال و التوصل إلى نتائج .
- له معنى إقناع شخص ما منطقيا ، أو التأثير عليه عقليا ، و التحليل المنطقي .
- يمكن أن يدل على الجدل ، و في علم النفس بمعنى العوامل المفسرة للسلوك والتي تدفع إليه .
- تدل أيضا على العملية العقلية المستخدمة في التوصل إلى نتائج الحقائق

و في المعجم الفلسفي :

- ما يميز بين الحق و الباطل ، و الخطأ و الصواب .
- هو صور العمليات الذهنية ، و البرهنة و الاستدلال .
- هو المبادئ اليقينية التي يلتق عندها العقلاء ، و هي مبدأ الهوية ، و مبدأ عدم التناقض، و مبدأ العلية .

ج- نقد العقل :

إن مفهوم (نقد العقل) في أصله وامتداده مفهوم كانطي، والذي استطاع أن يحدث انعطافا فلسفيا حادا في تاريخ الفكر الأوربي، من خلال مشروعه الضخم (نقد العقل المحض)،

---

[١٨] محمد سبيلا و عبد السلام بن عبد العالي :" العقل والعقلانية " دار توبقال للنشر الدار البيضاء ، ط الثانية ، ٢٠٠٧ ص ٥

[١٩] ابراهيم مصطفى ابراهيم :" مفهوم العقل في الفكر الفلسفي " دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ٢٠١٥ ، ص ١٩ / منقول من :

Warnock ; reason ; in the Encyclopedia of philosophy ; Paul Edward ; Editor in Chief ; the Macmillan Company and the Free press ; Reprint Edition ;New York 1972 ; p 83

[٢٠] إبراهيم مصطفى ابراهم :" مفهوم العقل في الفكر الفلسفي " نقس المرجع ص ٢٠/٢١

حيث بلور فيه منهجية صارمة في عملية النقد تحول معها النقد من نقض المسائل والمقولات والمذاهب، إلى تحليل العقل ذاته المنتج لتلك المقولات والمسائل، وذلك من خلال فحص الشروط القبلية التي تجعل تلك المقولات ممكنة. واختبار الأصول والمسلمات والبديهيات المنتجة لتلك لمقولات. وقد أصبح يعرف هذا النقد بـ(النقد الكانطي). ولقد شكَّلت النظرية الكانطية لحظة تحول أساسية وخطيرة في تاريخ الفكر الأوربي، فلم يعد النقد مجرد دحض ونقض، وإنما أصبح فحصا وتحليلا لأنظمة المعرفة والكشف عن أسس التفكير وآلياتِه وبحثٌ في كيفية إنتاج المعنى وقاعدة تشكيل الخطاب.[٢١]

يقول علي حرب: "لا جدال في أن ما أتى به كانط هو عمل غير مسبوق يمتاز بالجدّة والأصالة، وتتجلى الأصالة أول ما تتجلى في النقلة التي أحدثها كانظ في مفهومه للنقد نفسه وفي ممارسته له بطريقة جديدة ومغايرة، ذلك أنه مع النقد الكانطي ننتقل من نقد (الكتب والمذاهب) إلى نقد (العقل نفسه) أي نتخطى نقد المعارف إلى نقد الآلة التي بها نعرف". لقد صار مفهوم الفلسفة بعد كانط ممارسة النقد، وأصبحت الفلسفة النقدية، تنضوي داخلها جميع الاتجاهات الفلسفية المعاصرة، فلا توجد فلسفة غربية اليوم إلا وهي نقدية، وبالتالي فالفلسفة النقدية تعني: الاتجاه الماركسي، والوجودي، والظاهراتي، والبنيوي، والتفكيكي، وكذلك مناهج البحث التاريخي واللساني والتحليل النفسي والأنثربولوجي.[٢٢]

هذا التوجه الكثيف والعميق نحو النقد، أكسبه مع مرور الوقت مجالا معرفياً مستقلاً، وأصبح له قوانينه وتقنياته الخاصة به، وتحول من أداة لاستكشاف الحقيقة أو إنتاجها، إلى فلسفة قائمة بذاتها، بحيث أن النقد بات وبصورة مستقلة "يفضي إلى الحقيقة دون الرجوع إلى أي معطى ما ورائي /غيبي (=الوحي) يكسبه مشروعية الحكم" وإذا كان مشروع كانط منصبا على العقل المحض/ الخالص/ المجرد عن أي صفة معرفية أو مذهبية، فإن المفكرين من بعده قد أفادوا منه في نقد العقل المختص معرفياً أو المنتمي مذهبياً بعد تجريده من كل تجسيداته الواقعية والإمساك بالمعالم النظرية لذلك العقل، فصار هناك نقد العقل السياسي، ونقد العقل الصناعي، ونقد العقل الوضعي، ونقد عقل التنوير، ونقد العقل الديني ... إلخ . وكلها تتجه إلى فحص النظام المعرفي المبنى على مسلمات وأصول معينة، هذه المسلمات والأصول هي المنتجة والمشكّلة للمقولات في ذلك الحقل المعرفي. من هنا كان مشروع الجابري وأركون في نقد العقل العربي/ الإسلامي، حيث تحول نقد التراث عبر مشروعهما، من نقد المسائل والمقولات التراثية إلى فحص وتحليل النظام المعرفي الذي أنتج تلك المسائل والمقولات ... من مناقشة التصورات الدينية في التراث إلى مناقشة

[٢١] علي حرب، نقد النص، المركز الثقافي العربي ٢٠٠٥ ص٦٩.

[٢٢] طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة، القول الفلسفي: كتاب المفهوم والترجمة، الناشر: المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥، ص (١/ ١٧٨).

النظام الفكري العميق، أو الأنظمة الفكرية المنتجة للتصورات الدينية في التراث الإسلامي.[٢٣]

إذا كان العقل في جوهره عالمي الهوية والجذور، إنساني الملامح والآفاق، فإن العقلانية غير ذلك، إذ هي تتعدد بتعدد الثقافات والأمم، ومن ثم فإن العقلانيات العربية اليوم هي حقيقة وجود يحمل في ذاته تناقضات العصر الذي يحياه. الشيء الذي حمل الفكر العربي منذ نهاية القرن الماضي إلى محاولات عدة لتجاوز واقعه من خلال تجاوز التراث بإعتباره ماضيا متخلفا غير مساير لما يحياه، وذلك باستلهامه مفاهيم من الفكر الأوروبي ليتمكن من التوفيق و إقامة التوازن بين واقعه و واقع مغاير له، انطلاقا من أنهما لحظتان فكريتان مختلفتان، حيث الفكر الطبيعي والتقني هو نتاج أوروبا الحديثة، والأفكار الروحية هي تراثه، ومن ثم أجريت عملية تكييف ومحاولة تبيئة للفكر التقني الأوروبي، لكي يتوافق مع الأفكار الروحانية، كما أجريت عملية مماثلة للأفكار الروحية لكي تقبل التقنية وأصبح بالتالي جوهر المشكلة هي ما الذي نأخذه من الآخر باعتباره "متقدّما" وما الذي نتمسك به في تراثنا؟ فلاشك من أن الصّدمة التي حدثت بيننا و بين الآخر قد أفضت بالضرورة إلى دخول ثقافة الآخر على مجتمع يحوي ثقافة واحدة (أو لنقل فكرا واحدا) هي الثقافة العربية الإسلامية، (التي تمثل ثقافة الأمة كلها)، هذا الدخول الذي أدى إلى نشوء تضاد بين "ثقافتين" ثقافة أوروبية في مقابل ثقافة عاجزة عن إنتاج فكر. فكان من نتائج تلك (الصدمة) دخول النزعة العقلانية إلى المجتمعات العربية الإسلامية دون مجابهة تضمن استبدال التوازن القديم إلى المجتمع بتوازن جديد أكثر فعالية وإنسانية، إذ في هذا الإطار نعتقد بأن ثنائية الأنا/ الآخر أصبح لها مغزى أعمق مما هو باد يعبر عن انكماش "الذات" "الأنا" و "الهوية" و تقوقعها، و انغلاقها، خوفها من الآخر... و لا يحدث هذا الانكماش في اعتقادنا إلا حينما تكون البنى الثقافية المعبرة عن "الذات" و "الأنا" و "الهوية" عاجزة، أو ميتة. لقد كانت لحظة تحول مفهوم العقل في الفكر الأوربي المعاصر "نتيجةً لما سمي في تاريخ الفكر الغربي بأزمة الأسس (la crise des bases) ، والمراد بها الأزمة التي عرفتها مختلف العلوم في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؛ نتيجة ظهور معارف ونتائج علمية ومستجدات فكرية لم تعد العلوم الكلاسيكية قادرة على استيعابها واحتوائها، الشيء الذي استدعى إعادة النظر في مختلف مفاهيم ومناهج ونتائج العلوم وهو ما سمي بإعادة السبك.[٢٤]

لم تكتسب العقلانية شرعيتها كمفهوم على المستوى الفلسفي والسياسي في لفكر العربي، ولم تكن امتداد أو استمرار للفكر العربي، و إنما هي إحدى المسبقيات المعرفية التي فرضت نفسها في ثنايا الفكر العربي، بعد التعرف على مصادر الفلسفة والنهضة

[٢٣] نفس المرجع السابق، ص ١٧٨.

[٢٤] جيل دولوز و فليكس غتّار،" ما هي الفلسفة" ، مركز الأنماء القومى اليونسكو باريس المركز الثقافى العربى الطبعة العربية، ١٩٩٧، ص ٣٠.

الأوروبية وعصر الأنوار أو لنقل بعد الصدمة تحديدا. تعرف الفكر العربي على العقلانية كان إثر لقائه بالغرب، هذا التعرف الذي كان و لا يزال بتميز بالحذرو بكثير من المد و الجزر. لأن ما يبرر عدم وجود العقلانية كممارسة قائمة على الإيمان بقدرة العقل و على تفسير المعقول واللامعقول، إلا أن الفكر لا يزال عاجزا عن المواجهة اللاعقلانية السائدة، و عن تأسيس تنظير عميق لسيرورة مقترحة لعقلنة الواقع، أو على الأقل لعقلنة جوانب من الممارسة الواقعية.. فهو لا يزال يعاني صدمة التحولات الكبرى التي تقع أمام عينيه بدون أن يساهم فيها مباشرة، كما لا يزال يأخد منها مواقف تحددها مرجعية ماضوية تقليدية عوض أن تكون مرجعية ذات معقولية واضحة مبنية على الاستبدال، والتجريب، في حين الرجوع إلى معقولية التفكير يفيد تحرر الفكر من المرجعية الماضوية الضيقة، فالعقل هو مفتاح الحداثة والمعقولية هي سبيل التحديث لذا نجد الفكر العربي تميز بثلاث مستويات من العقلانية :

المستوى الأول : تواجد لا عقلانية متخلفة و سابقة زمنيا تمثلت في الموروث القديم الذي كان سائدا من رؤى سحرية و واقع متصف في معظمه باللامعقول.

المستوى الثاني :حضور عقلانية (فوقية) كونها مكتسبة عن الآخر أي انفعالية اتجاه آليات الحضارة الحديثة، وذلك ما مثله الفكر النهضوي في القرنين الأخيرين.

المستوى الثالث : هناك عقلانية تأسيسية من خلال استيعاب المناهج المعاصرة والطروحات المختلفة التي وأن اتفقت على منطلق "النهوض" فإنها تختلف في الرؤية والتعامل في تحقيق هذا النهوض فمن هذا المستوى الأخير كرَس الكثير من المثقفين العرب جهدهم ومحاولاتهم للبرهنة على ضعف الأسس المنطقية لهذا الجانب أو ذاك من الثقافة العربية الإسلامية التقليدية، أو قوة هذه الأسس في هذا الميدان أو ذاك من الفكر العربي الإسلامي، والحقيقة أنهم كانوا هنا وهناك من خلال طرح إشكالياتهم ومقاربات تحليلاتهم. بالعقل المفهوم الجاري عند فلاسفة الإسلام والمسيحية الموروثة عن الأفلاطونية والأرسطية، وهو القوة الخالدة المستنيرة بالعقل الفعَّال، المنيرة لسائر القوى الإنسانية في النشاط العرفاني، بل أقصد القوة المتطورة المتغيِّرة بتغيِّر البيئات الثقافية والأيديولوجية، القوة الخاضعة للتاريخية.[٢٥]

خلاصة :

الواضح مما سبق أن العقل الذي نتحدث عنه باستمرار هو مفهوم نظري ، حتى عندما ينطبق على السلوك ، ما نسميه بالعقل العملي ، نتكلم عندئذ على نظرية الأخلاق لا على نظرية العادات ، نبرر الواجب منها فلا ندرك الملاحظ ، نسمي أخلاقا الأفعال الخاضعة لقواعد مفروضة و إن ناقضت المصالح المتعلقة بها ، بل لا تكون أخلاقية إلا بالنفي والمعاكسة ، لما تنقلب العلاقة ، عندما تكون الأفعال خاضعة للقواعد المؤدية للأهداف ،

[٢٥] محمد أركون، نحو تقييم واستلهام جديدين للفكر الإسلامي، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ٢٩، ص ٤٣.

تنتقل بالطبع النظرة من أخلاقية إلى منطقية ، فيكون المعامل المحدد في هذه الحال عقلا من نوع أخر، و هو ما سماه البعض الآخر في القرن الماضي في أوربا عقلانية ، هذه وضعية أحاطت على الدوام ، بالإنسانية الواعية و العاملة ، إلا أنها ازدادت اتضاحا في إطار المجتمع الحديث ، و أصبح هذا العقل الثاني (العقلانية) ، هو مؤشر ورمز المجتمع الحديث ، بما أن هذا الأمر قد حصل و ترسخ و تأصل ،و بما أننا نعيش تحت ظلاله ، رضينا بذلك أو لم نرض به ، إذ هو جوهر استعمار الأمس ، و تبعية اليوم ، فلا مناص لنا من قبول التمييز ، و الإقرار أن العقل عقلان : أحدهما يهم الفكر وحده ، مهما كانت المادة المعقولة ، هدفه النظر في شروط التماسك و الاتساق ، و الثاني يهم السلوك أو الفكرة المجسدة في الفعل ، هدفه النظر في ظروف مطابقة الوسائل للأهداف المرسومة ، أيا كانت، الأول عقل المطلق ، عقل الكائنات المجردة ، عقل الحدود و الأسماء ، عقل النطق و الكون ، و الثاني عقل الواقعات ، أفعال البشر المتجددة ، يوجد فرق جوهري بين من يميز و من لا يميز بين هذين المفهومين ،بل هنا تحل القطيعة الجوهرية بين القديم و الحديث ، بناء على هذا التقسيم ينقسم الدارسون المعاصرون إلى فريقين : فريق يقر و فريق لا يقر بالقطيعة المذكورة ، من لا يقرها مهما كانت دوافعه ،ينفي من الأصل المسألة الوحيدة التي تهم المسلمين ، و غير الأوروبيين الغربيين على وجه العموم ، منذ عهد النهضة .[٢٦]

لقد حظي مفهوم العقل باهتمام جل الفلاسفة ،محاولين تفسيره كل من وجهة نظره و باعتماد مفهوم خاص به ، ووفق مذهب خاص ، إلا أن معظمها ذهبت إلى أن العقل عبارة عن مجموعة من الاستعدادات و القدرات العقلية و الفكرية ، و العادات الذهنية ، كما أنه يمثل مجموعة من الاعتقادات الأساسية لدى كل فرد من الأفراد ، أو في مجتمع من المجتمعات ، و تختلف العقليات باختلاف البيئات ، إلا أنها تتفق في العموميات مثل القدرة على الاستدلال و الفعل وفق القوانين الأساسية للفكر ، و الاستعداد لتمييز الحق من الباطل، و الصواب من الخطأ ، و يعمل العقل البشري فكريا عن طريق تركيب صور و مقولات معينة ، كي يجيب بها عن تساؤلات ووقائع يراها أمامه في الحياة[٢٧]، و قد نادى كوندورسيه بمحاربة كل ما يمكن أن يعوق تقدم العقل البشري مثل الدغمائية ، و الآراء المتعسفة من أفكار دوي النفوذ ، الذين يحولون دون انطلاق عقل الإنسان إلى أفاق الحرية

---

[٢٦] عبد الله العروي :" مفهوم العقل " مرجع سابق ص ٣٥٨

[٢٧] السيد محمد بدوي :" نظريات و مذاهب اجتماعية " دار المعارف ، مصر ،١٩٦٩ ص ٦٣/٣٣ ، انظر أيضا ابراهيم مصطفى ابراهيم :" مفهوم العقل في الفكر الفلسفي " مرجع سابق ص ٩

و المعرفة [٢٨] ، و يرجع مفهوم العقل و البحث فيه إلى ما قبل الفلسفة اليونانية ، في مصر القديمة ، و الهند و الصين [٢٩]

١- العقل و التفكير

إن مهمة نقد المعرفة تتحدد انطلاقا من تقييم إنجازات العقل ، (إن استثنينا أوغست كونط الذي نفا قدرة العقل على مغادرة شرنقته الخاصة لمعاينة ذاته من الخارج)، فالفلسفة على العموم ترى أن سلوكات العقل قابلة للملاحظة ، ذلك أن التفكير هو قدرة الفكر على المزاوجة بين ملاحظة الذات و ملاحظة الموضوع ، للتمكن من الحكم على عادات و أعراف العقل [٣٠].

و لكي نصل إلى الحكم الديكارتي ٣١، و إلى مصادر العقل يجب على التفكير أن يتمخض من تلقاء نفسه ، حينها سوف يكون في مستوى تاريخ الفعل و حاملا لدلالة ،و طالما يتطهر العقل فسوف يستمر في الاستعانة بمعايير التحقق مما هو حقيقي ، المنحدر من الحكم اللانقدي ، و يكون باستطاعة العقل الذي لم يتخلص من وثوقياته و لا شعوره ،أن يزن نوع المعرفة التي تقيمها الحجة التجريبية ، كما أن المعرفة اللاهوتية لن تحكم على نفسها إلا اعتمادا على مفاهيم من داخل مجال اللاهوت ، مثل الإله،اللطف،الخلاص...و لن تتساءل المعرفة حول مسلماتها ، نفس الشيء بالنسبة للفلسفة التي لم تستأنس بعد إيمانها العقلاني [٣٢].

إن جوهر مجتمع الحداثة أنه يثق في العقل و يأخذ بالعلم و يؤمن بالتقدم و التطور ، فالعقل و العلم هما سلاح الحداثة ضد المجتمع التقليدي و ضد الأفكار اللاهوتية و الميتافيزيقية و اللاعقلانية ، إنه عقل أداتي به يستطيع الإنسان فهم واقعه و تغييره و

---

[٢٨] مجمع اللغة العربية ، المعجم الفلسفي ، المطابع الأميرية القاهرة ، ١٩٧٩ ، الفقرة ٦٣٥ ، ص ١٢١ / انظر أيضا ابراهيم مصطفى ابراهيم :" مفهوم العقل في الفكر الفلسفي " ، مرجع سابق ص ٨

[٢٩] ابراهيم مصطفى ابراهيم :" مفهوم العقل في الفكر الفلسفي " مرجع سابق ص ١٠

[٣٠] مانويل دوديكيز :" العقل و أوثانه ، نقد فلسفي للعقل " ترجمة وتقديم عبد الله زارو ، مجلة فكر و نقد ، السن الأولى ، العدد ٤ ، دجنبر ١٩٩٧، ص ٦٣/٦٤

[٣١] حيث يدافع ديكارت على انبعاث الحياة في التاريخ بقوله في القاعدة الثالثة من قواعد اقتياد الفكر : " لن نكون أبدا فلاسفة إذا نجن قرأنا كل استدلالات أفلاطون و أرسطو و عجزنا ، بعدها ، عن إصدار حكم جازم في معضلة معينة ،سوف نبدو حينها ، كما لو كنا تعلمنا التاريخ لا العلوم "

[٣٢] مانويل دوديكيز :" العقل و أوثانه ، نقد فلسفي للعقل " ترجمة وتقديم عبد الله زارو ، مجلة فكر و نقد ، السن الأولى ، العدد ٤ ، دجنبر ١٩٩٧ ، ص ٦٤/٦٥

السيطرة عليه و تطويره[٣٣]، كما إن الإديولوجية تستخدم للدفاع عن العقل و نقد كل الأفكار التي تساعد على تقدم البشرية ، فالإديولوجية هي السلاح النقدي للعقل ، لذا يجب نقد الميتافيزيقا و الدين و الميثولوجيا بوصفهم صورا إيديولوجية مضادة للعقل [٣٤].

في هذا السياق يمكن القول أن العقلانية هي عبارة عن توجه معرفي يعتقد بأولوية العقل، ثم تتفرع من بعد ذلك توجهات فلسفية متباينة و مختلفة يمكن أن نختزلها في توجهين رئيسيين :٣٥

- توجه يعترف بوجود مصادر أخرى للمعرفة و إن أعطي للعقل مرتبة أولى ، فتصبح الأولوية هنا بالمعنى الإبيستيمولوجي تنحصر في ترتيب مصادر المعرفة .
- توجه ينكر أن تكون ثمة مرجعا معرفيا غير العقل ، فتصير الأولوية عنده أوحدية، بمعنى أننا نختزل الاتجاهات العقلانية في اتجاهين رئيسيين هما اتجاه الأولوية و اتجاه الأوحدية .

٢- شروط العقل التنويري :

الشجاعة و الجرأة على المعرفة ، الحق في التفكير كما تشاء بشرط أن تمتثل للطاعة (و هنا الحديث عن الاستعمال الخاص و الاستعمال العام للعقل)، العقل الناقد ، العقل ضد الخرافة، اجدثات الشر الجذري من النفس البشرية ، و أخلاق المواطنة الكونية .

" إن دينا يعلن الحرب على العقل سوف يصبح مع مرور الزمن غير قادر على الصمود أمامه"[٣٦].

فنحن و بعد ما يعرفه العالم من توترات بحاجة إلى حداثة دينية ، ذلك أن أشياء رهيبة تحدث اليوم باسم الدين ، فالوجود في الوقت الراهن أصبح يفسر و يقال و يحيى و يموت باسم الدين ، فنحن بحاجة إلى الاستعمال العقلي للدين ، أو استعمال الدين في حدود مجرد العقل ، و في هذا السياق يمكن الإشارة و استحضار الطريق الذي رسمه كانط في اتجاه الحداثة الدينية في كتابه "الدين في حدود مجرد العقل " [٣٧] . و هي الخروج بالدين من فضاء الملة إلى أفق المواطنة الكونية ، أي دين حرية ، بعد التحرر من الاستبداد الروحاني بوصفه مبدأ لكل دين خارج حدود العقل ، موقعا نظرية فريدة في نقد الوهم الديني إلى دين

---

[٣٣] جورج لارين :" الإديولوجية و الهوية الثقافية ، الحداثة و حضور العالم الثالث " ، ترجمة فريال حسن خليفة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ٢٠٠٢، ص ١٣

[٣٤] جورج لارين :" الإديولوجية و الهوية الثقافية .." المرجع السابق ص ١٤

[٣٥] الطيب بوعزة :" في مفهوم العقلانية إشكال الدلالة و تنازع المواقف " ، مجلة الروافد ، الصادرة عن دائرة الثقافة والإعلام، العدد ١١٠، أكتوبر ٢٠٠٦ ، ص ١٦

[36] Kant ;la religion dans les limites de la simple raison ; in Œuvres philosophiques ; 3 ; op ; cit ; p 23

[37] Ibid ; p 28

حرية ضد دين استبداد ووهم [٣٨].فحسب كانط الحداثة الدينية قائمة على العقل كآلة ميتافيزيقية خالصة ، و على الحرية مفتاحا مدنيا لا بديل عنه، و على الإنسان أفقا لمواطنة كونية استكشافية .

إن كانط هو الذي دلنا على الخيط الرابط بين العقل و الدين ، أو بين الحداثة و الدين (مجسد في المسيحية)، فهو الذي علمنا أنه لا يمكن أن نفهم شيئا في الدين ما دمنا لازلنا نعارض بحمق ما بين العقل و الدين أي ما بين الحداثة التقنية العلمية و الدين نفسه ، فللعقل و الدين عند كانط منبع واحد ، (أن تاريخ الدين و أصل العقل البشري هو الشر الجذري) [٣٩].

٣- مبادئ العقل

ربطت الفلسفة اليونانية مبادئ العقل في مبدأين : عدم التناقض و الثالث المرفوع ، لكنها لم تشر إلى وظيفتهما [٤٠]، و بقيت هذه المبادئ معمولا بها إلى أن زعزعتها الفلسفة الإسلامية، بنظرية الشرائع و الخلقات ، مقابل نظرية الطبائع و الهويات ، على اعتبار أن كون الشيء هو ما هو ، ليس بالضرورة طبيعة ، بل يمكن أن يكون حكما أو اختيارا أمرا من جنس التكييف الحقوقي المحدد للأمور شرطا في تطبيقها على النوازل الفقهية ...ليتحول بذلك مبدأ الهوية إلى كون الأشياء من ذاتها ليس لها طبائع بل أحكام [٤١]، و هذا يستدعي وجود علة مرجحة تصطفي كيفها الماهوي فتختارها للخلق في أحد العوالم لتوجدها فيه .

ومع لايبنزLibininz تعاد صياغة هذا المبدأ تحت اسم العلة المرجحة أو العلة الكافية ، واعتبره مبدأ واحدا ، جمع بين الوجهين ، الوجود و الماهية مع تقديمه خيار الإيجاد على الماهية[٤٢]، و هناك مبدأ خامس و هو مبدأ التحقق ، و هو المبدأ الذي ينقل الأشياء من القيام

---

[38] Ibid ; p 28

[39] Ibid ; p 34

[٤٠] أرسطو :" الميتافيزيقا " مقالة الجيم حيث صاغ أرسطو مبادئ العقل مع الدليل عليها ، من خلال إثبات عدم إمكان القول و الثبات ، من دونها ، و استنتج بذلك أنها ليست فقط شرطا في القولو العلم ، بل هي كذلك شرط في الوجود ، فصارت مبادئ العقل منذ ذلك الحين ذات وجهين : وجودي و معرفي

[٤١] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي :" تهافت الفلاسفة : الفلاسفة المسماة مقاصد الفلاسفة ، منطق ، و إلهيات ، و طبيعيات " تحقيق سليمان دنيا ، ط ٤ ، دار المعارف القاهرة ١٩٦١ ، المسألة ١٧

[42] Jahn Lock ;' Œuvres de Locke et de Leibnitz contenant : l'Essai sur l'entendement humain ;ed ;rev ;corrigé et accompagné de notes par F.Thurot ;Paris F. didot frére 1839 ; p 470

المقصود على موضوعية القيام بالقصد الكافية في مبدأ الترجيح الإسلامية (القدر) ، إلى موضوعية القيام بالذات التي لا بد منها للترجيح الآلي (القضاء)[٤٣].

و بهذا تصبح مبادئ العقل على النحو التالي :

- مبدأ الهوية بمعناها المؤسسي و الحكمي لا الطليعي .
- مبدأ عدم التناقض .
- مبدأ الثالث المرفوع و يتقدم على هذين المبدأين مبدآن شرطان لهما.
- الترجيح أو التحديد للكيف الفلسفي .
- التحقيق أو التجديد .

يحدد عمل العقل وفق منهج ، و نظرة ، أو موقف ، لأنه يتصل أيضا إما بكائنات أعلى، أو كائنات أدنى ، و يمكن إجمالا أن نصف العقل بأنه تلك الملكة التي يمكن تدريبها بالآلة، و المقصود هنا أن العقل هو آلة الفكر و أداته ، يمكننا تدريبه على القيام بهذه العملية التي تسمى الفكر كما يحدث تماما مع الآلات . فبواسطة العقل نستطيع الوصول إلى المعرفة عن طريق التفكير بالاستنتاج[٤٤]، و هو دور تدريس الفلسفة في المرحلة الثانوية .

فالعقل يقوم بذاته عن طريق الأفكار ، و هي أدوات العقل المتجددة ، و كذلك قدرته على التفكير و المناقشة ، أما الخبرة بوجه خاص فتعتمد على ما تقدمه لنا الحواس عن طريق المشاهدة ، أو التجربة ، إلا ان كل من العقل و الخبرة يعتمد أحدهما عن الأخر[٤٥].

و كان الدور الأساسي للعقل في العصر الحديث ، استخدامه كسلاح فعال و نقدي في مواجهة الخرافات و العادات و التقاليد ، و مواجهة القائلين بالشعور و العاطفة ، و لم يستخم بشكل مباشر كمضاد للدين أو أنه لا دين[٤٦].

تهدف النظرية الذاتية في تفسير العقل إلى التأكيد أن العقل لا يفسر في حدود السلوك فحسب ، مثلما ذهبت المدرسة السلوكية في علم النفس ، و إنما يفسر أيضا في حدود المواقف القضوية و العمليات العقلية التي تحدث داخل العقل ، و من تم يجب أن

---

[٤٣] أبو يعرب المرزوقي :" في العلاقة بين مبادئ العقل و قيمه و مبادئ الشرع و قيمه "مقالة منشورة في " الفلسفة في الوطن العربي في مائة عام "أعمال الندوة الفلسفية الثانية عشرة التي نظمتها الجمعية الفلسفية المصرية بجامعة القاهرة، مركز دراسات الوحدة العربيةبيروت ٢٠٠٦، ص ١١٨

[٤٤] ابراهيم مصطفى ابراهيم :" مفهوم العقل في الفكر الفلسفي " نفس المرجع السابق ص ٢٠

[٤٥] ابراهيم مصطفى ابراهيم :" مفهوم العقل في الفكر الفلسفي " المرجع السابق ص ٢٠

[٤٦] ابراهيم مصطفى ابراهيم :" مفهوم العقل في الفكر الفلسفي " مرجع سابق ص ١٠٠

نتخلى عن مسلمة أن يكون لديك فكر ، هو أن يكون لديك موضوع خارج عقلك فيه ، و نستبدل بها مقولة ،أو فرضية: إن الفكر يتطلب موضوعات عقلية[٤٧].

و من بين وظائف العقل ، التعامل مع التجارب الحسية التي تقوم المخيلة بتخزينها وإعطائها للذهن عبر مراحل ، و من مهامه أيضا إثبات وجود الله ، و تشريع القوانين الخلقية .[٤٨] و من هذا المنطلق فكانط يحدد وظيفة العقل في توحيد الصور و المعاني ، على اعتبار أن العقل يعادل القوى المدركة ، رغم أنه قوة غير مدركة[٤٩]. و يمكن إيجاز وظائف العقل فيما يلي:[٥٠]

- الوظيفة المنطقية للعقل ، أي استخدامه لاستنتاج نتيجة من قضيتين أو أكثر ، بشكل مباشر أو غير مباشر .
- الوظيفة الخالصة للعقل ،أي توحيد العقل للمبادئ و القواعد بشكل متسق .
- وظيفة التوجه نحو المطلق ، عن طريق وحدة العلاقة غير المشروطة و هي الوجود بالذات ، وحدة الكيف غير المشروط ، وحدة الكثرة في الزمان غير المشروطة و هي واحدة في الموضوع ، وحدة الوجود في المكان غير المشروطة و تمثل الوعي بالذات و الوعي بالأشياء الأخرى كتصورات.
- يقوم بتجاوز حدود التجربة الحسية المحددة ، حتى يتمكن من إيجاد سلسلة من التركيبات المطلقة و التي يحتويها الكل المطلق[٥١] .
- يقوم بإحالة التجربة الجزئية الفردية إلى قضية كلية ضرورية و موضوعية من خلال استخدامه المقولات .
- يقوم بإدراك المادة حتى في غيابها ، فهو يدرك المجردات ، و ربط لأفكار بعضها ببعض، كما أنه قادر على تقديم مجموعة من العلاقات بين الأفكار و الأشياء[٥٢].
- يقوم العقل بتنظيم عناصر التجربة ، كما يقوم بالكشف عن ما يمكن أن يرد عن الخارج و إمكانية إضافته للفكر .
- يقوم بوظيفة الاستدلال التي يوجدها الفهم[٥٣].
- يرجع ما هو جزئي إلى ما هو كلي .

---

[٤٧] محد سليم حنفي :" فلسفة العقل عند دونالد دافدسون " مرجع سابق ، ص ٣١٩

[٤٨] حسن حنفي :" الدين في حدود القل وحده لكانط "، في تراث الإنسانية ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و النشر ، المجلد السابع العدد رقم ٣ ،القاهرة ،(بدون تاريخ) ، ص ١٩٩

[٤٩] ابراهيم مصطفى ابراهيم :" مفهوم العقل في الفكر الفلسفي " مرجع سابق ص ١٣٣

[٥٠] ابراهيم مصطفى ابراهيم :" مفهوم العقل في الفكر الفلسفي " مرجع سابق ص ١٣٤

[٥١] محمود فهمي زيدان :" كانط و فلسفته النظرية " ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ ، ص ٢٩٣

[٥٢] يحيى هويدي :" حياد فلسفي "، مرجع سابق ص ٣٥

[٥٣] إميل بوترو :" فلسفة كانط "، ترجمة عثمان أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢، ص ١٦٧

- من وظائف العقل حل مشكلة المطلق ، عن طريق نظريتي الوجود لدى كل من ديكارت و جون لوك[٥٤].

يحدد كانط دور العقل في حكمه للإدراك ، إلا أن الفعل يستدل ، و من هذه الزاوية ، إنما بالنسبة لمفاهيم الإدراك بالضبط يمارس العقل عبقريته الخاصة به ، " يصل العقل إلى معرفة ما بواسطة أفعال الإدراك ، تشكل سلسلة من الشروط" [٥٥]، و لا يعود بوسع العقل أن يلجأ إلى مفهوم قبلي ، بل يجب أن يكون أفكارا تتخطى إمكانية التجربة ، فيصبح لزاما على العقل تكوين أفكار صورية ، تعتبر هي الشروط التي تنسب لها مقولة "علاقة إلى موضوعات التجربة"[٥٦].

ليس للعقل موضوع غير الإدراك ، و استخدامه المتفق مع غايته ، و في نفس الوقت يحتفظ بدور لنفسه[٥٧]، و قد جعل علماء النفس أمثل فوند و باولسون ، دور العقل يأتي في المرتبة الثانية بعد الإرادة ، ذلك أن العقل لا يشكل الركيزة الأولى في النشاط الحيوي للإنسان بالنسبة لهم[٥٨].

---

[٥٤] إميل بوترو :" فلسفة كانط " مرجع سابق ص ١٨٠

[55] جيل دولوز :" فلسفة كانط النقدية " المرجع السابق ص ٣٣ / مأخوذة من كتاب "نقد العقل الخالص " لكانط

[56] جيل دولوز "فلسفة كانط النقدية " المرجع السابق ص ٣٣

[٥٧] جيل دولوز "فلسفة كانط النقدية " المرجع السابق ص ٣٤ / مأخوذة من كتاب " نقد العقل الخالص ، الديالكتيك " لكانط

[٥٨] ابراهيم مصطفى ابراهيم :" مفهوم العقل في الفكر الفلسفي " المرجع السابق ص ٨